الفصــل الرابــع

من جغرافيـــــة الإســـــلام

من جغرافية الإسلام[أ]

ليس ثمة بين أيدينا – فيما نعلم – دراسة تفصيلية كاملة ودقيقة عن الصورة الجغرافية الراهنة لتوزيع الإسلام في العالم. وحقا تحفل كتب المستشرقين والدراسات الإسلامية (الإسلامولوجيا كما يسمونها) بأكثر من مسح تخطيطي أو ثبت إحصائي للمسلمين في هذه القارة أو تلك، أو لانتشار الإسلام التاريخي هنا وهناك، ولكنها في الأعم الأغلب لا تعدو أن تكون خطوطا عريضة أو إلماعات سريعة متناثرة، وكثيرا ما تعتمد على أرقام قديمة أو غير وثيقة، وأحيانا – وهو أمر جد مفهوم – قد لا تتحرى النزاهة العلمية المطلقة.

ولهذا فنحن ما زلنا بحاجة إلى دراسة متكاملة ترسم جغرافية الإسلام من حيث هو غطاء روحي واسع الانتشار، بالغ الخطورة في الحياة اليومية المعاصرة، المادية والثقافية، والاقتصادية والسياسية، لقطاع كبير من البشرية.

وما نزعم أن هذا البحث الذي نقدم الآن يمكن أن يسد هذه الثغرة تماما، ولكننا نحسب أنه يقدم أرضية عامة ونقطة ابتداء صالحة لمزيد من التعمق والتمحيص. إنه مدخل، مدخل لن نعرض فيه لأكثر من واقع التوزيع الجغرافي الراهن للإسلام، في جولة استقراء أشبه بشيء بالرحلة العلمية travelogue، لا

(أ) انظر "العالم الإسلامي المعاصر"، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٠، ص ١١ – ٤٣.

تستدعي بالضرورة أن نعود إلى القصة التاريخية لانتشار العقيدة إلا بمقدار ما تلقي من ضوء على الصورة الراهنة، كما لا تتعرض بأي قدر من تحليل للجوانب السياسية أو الاجتماعية المنبثقة من الوجود الإسلامي أو فيه، فضلا عن أن تحاول اقتحام "نظرية عاملة" شاملة تجمع شتات الصورة في نظام مورفولوجي واحد أو تخضعه لفلسفة إيكولوجية أحادية. فإن بدا هدف هذا البحث لأول وهلة مجالا ضيقا إن لم يكن متواضعا، فإن الرحلة نفسها، إذ نلهث معها عبر القارات والمحيطات والعوالم الشتى، جديرة بأن تقنعنا أن بعض الاستقراء الأولي للمادة الخام قد يكون أشق منالا من بعض التنظير العلمي والتقنين أو التفلسف المنهجي الذي على أية حال، سوف نعود إليه في دراسة منفصلة بعد قليل.

أبعاد العالم الإسلامي

ليس سهلا أن نحصر عدد المسلمين في العالم بدقة، فما كانت الإحصاءات دائما ميسورة ولا كانت التقديرات بعدها شيئا يقيني. ومن ثم تتفاوت التقديرات تفاوتا كبيرا وكلها لا تقل الآن بحال عن ٥٠٠ – ٦٠٠ مليون، وربما رفعها البعض إلى ٧٠٠ مليون، ومن الكتابات الدارجة ما يقفز بالمجموع على غير أساس إحصائي إلى ثلاثة أرباع البليون. ومن الإنصاف، بل الواجب العلمي هنا أن نقرر أنه بقدر ما تجنح التقديرات الغربية إلى التهوين والتقليل من حجم الإسلام، بقدر ما تندفع بعض الكتابات الغربية إلى التهويل والتضخيم. وكل من الاتجاهين ليس من العلم ولا من الدين في شيء. ويبقى أن الإسلام يمثل بالتقريب ١٥% من سكان هذا الكوكب الذين يبلغون اليوم نحوا من ٣٥٠٠ – ٣٦٠٠ مليون نسمة، أو قل إن واحدا من كل ستة أو سبعة أشخاص في العالم يدين بالإسلام.

والإسلام بعد هذا في توسع ديناميكي مطرد بعيد المدى، بل لعله اليوم

أكثر الأديان نموا عدديا. فهو من ناحية يكسب كل يوم أرضا جديدة وقوى مضافة على امتداد جبهة عريضة في إفريقيا، وربما في آسيا المدارية بالإضافة إلى العالم الجديد شماله والجنوب. ومن ناحية أخرى يتفق أن أغلب مناطق العالم الإسلامي يعد من أقاليم النمو السكاني السريع حيث لم تزل معدلات المواليد مرتفعة في الوقت الذي انخفضت فيه معدلات الوفيات انخفاضا كبيرا. أي أن الإسلام يكسب. ويكسب بمعدل الربح المركب، ومن المرجح أن قوته النسبية في ديموغرافية العالم ستتمدد باستمرار، وقد لا تحل دورة القرن إلا وقد أصبح خمس البشرية من المسلمين.

ويجوز لنا هنا أن نشير - عابرين - إلى أثر الاستعمار على توسع الإسلام. فما أكثر ما يتردد في كتابات الاستعمار عن "فضله" في زحف الإسلام في القرن الأخير، خاصة في إفريقيا، بما قدم من تسهيلات حديثة ومواصلات لانتقاله، وبتبنيه له "كوسيلة ما للتحضير"، وبعدم معارضته له كقوة سياسية وكأداة تشريعية. وهذه النغمة تملأ المصادر الفرنسية والإنجليزية على حد سواء، كما لا تخلو منها الكتابات الهولندية عن إندونيسيا، وإن كانت أحد نبرة في الأولى بوجه خاص.

ولكن الحقيقة الموضوعية أن دخول الاستعمار جاء سدا أمام انتشار الإسلام، أثقل خطوته وإن لم يستطع حقًّا أن يشل حركته. ولولاه لكانت خريطة الإسلام اليوم على الأرجح شيئا يختلف كثيرا عما هي عليه الآن. وعلى سبيل المثال، فإن التبشير الاستعماري، لا سيما في إفريقيا، إنما تم على حساب الرصيد أو الاحتياطي الكامن بالقوة للإسلام. وفي الهند - مثلا آخر - حيث عمق الاستعمار عن عمد الصراع الديني بين المسلمين والهندوس، أدى التعصب الجديد إلى وقف أو إبطاء زحف الإسلام الذي كان منطلقا في شبه القارة.

وإذا نحن أردنا أن نضع الإسلام في مقياس الأديان العالمية الكبرى، لوجدناه يأتي في المرتبة الثالثة بعد البوذية فالمسيحية، بينما بعده تأتي الهندوكية. وتكاد قوة الإسلام أن تتعادل عدديا مع قوة الكاثوليكية كبرى طوائف المسيحية. غير أن لنا، إذا اعتبرنا أن الأديان السماوية هي الأديان بمعنى الكلمة، أن نقول: إن العالم المعاصر يستقطب في واقع أمره في قطبين لا ثالث لهما: المسيحية والإسلام؛ فهاتان – توحيديا – هما الديانتان الفعالتان اللتان تتقاسمان، ربما تتنازعان، العالم اليوم. أما اليهودية فبحجمها (١٥ – ١٦ مليونا) وبإحجامها عن التبشير قوقعة حفرية بلا تحفظ أو تحيز.

ولئن بدا الإسلام اليوم – موضوعيا – أقل عددا وأضعف ناصرا من المسيحية، فما هو إلا نمط وتوازن حديث العهد نسبيا ولم يتحقق إلا من الكشوف الجغرافية وتوسع أوربا المسيحية في العالم الجديد والقديم، ثم أكدته بصفة حاسمة الثورة الديموغرافية العارمة التي عرفتها أوربا الصناعية منذ القرن التاسع عشر. أما قبل ذلك فمن المرجح أن العكس كان صحيحا، بينما من المؤكد أن رقع الإسلام كانت أشد تراميا واتساعا من رقعة المسيحية. فكمؤشر وعلى سبيل المثال، حين كانت أوربا تعد ١٠٠ مليون نسمة في سنة ١٩٥٠، كان لإفريقيا نفس العدد، في حين بلغت آسيا ٢٥٠ مليون نسمة. وعدا هذا فهناك الدليل التاريخي غير المباشر، حين كان الشرق الإسلامي مركز الثقل الحضاري والسياسي في العالم الوسيط.

أما من حيث الرقعة ومدى الانتشار، فالإسلام دين عالمي أو كوكبي بلا مراء، رغم ما يدعيه البعض من أنه دين جزئي أو إقليمي أحيانا، أو من أنه دين "إفريقاسي" أحيانا أخرى. إذ يوشك ألا تكون هناك دولة في عالم اليوم لا يتمثل الإسلام فيها ولو ببضعة عشرات من الآلاف كما في استراليا أو غرب أوربا

مثلا. فإن عد هذا وجودا رمزيا، فإن جسم الإسلام الحقيقي – بيت الإسلام – يظل يشغل حيزا جغرافيا هائلا بأي مقياس.

فالإطار الخارجي الأقصى للإسلام يصل شمالا حتى أعالي الفولجا غير بعيد عن دائرة العرض ٦٠ شمالا، ويترامى جنوبا حتى نهاية إفريقيا عند الرأس على خط عرض ٣٥ جنوبا. أما شرقا بغرب فنحن نلهث مع الإسلام من خط طول ١٢٠ شرقا حيث الفلبين إلى حوالي ٣ غربا عند الرأس الأخضر. فهذه شُقَّة تبلغ ٩٥ درجة بالطول ونحو ١٤٠ درجة بالعرض، أي حوالي ربع وثلث محيط الأرض على الترتيب، أو ما يعادل نصف دورة من دورة الليل والنهار ونصف دورة من دورة فصول السنة على التوالي.

وبهذا أيضا فإن محيط الإسلام يتحدد أساسا بنصف الكرة الشمالي أولا، وبنصف الكرة القديم ثانيا. فالإسلام جنوب خط الاستواء أطراف وأصابع ثانوية، وهو في العالم الجديد شظايا سديمية متطايرة. وهذا – بالمناسبة – هو النمط الهيكلي العريض لتوزيع السكان العام على الكرة الأرضية. ذلك الربع من الكرة الأرضية هو إذن "الربع الإسلامي" كما قد نقول.

ويمكننا أن نعبر عن هذا الامتداد النادر بأكثر من طريقة أخرى فنقول: إن الإسلام يمتد في قوس محدد من بكين إلى كازان إلى بلغراد في الشمال، أو في قاطع من فرغانة إلى غانة كما كان يقول مؤرخو الإسلام، أو في قاطع آخر من جبل طارق الأطلسي إلى سنغافورة جبل طارق الهادي، أو من مالاجا بالأندلس إلى ملقا بالملايو (وكل من الاسمين مشتق من تسمية الإسبان للمسلمين). كذلك يمكن أن نحدد قاعدة العالم الإسلامي في الجنوب بمحور يمتد من قبائل السنغال حتى قبائل التاجال (بالفلبين)، أو من غينيا إلى غينيا الجديدة. أما بالطول، فدونك من الفولجا والدانوب حتى الزمبيزي والكيمبوبو. وبعامة، فتلك أبعاد لا تقل بحال

عن نصف مساحة العالم القديم، ولا يفوقها من بين الأديان جميعا إلا أبعاد المسيحية.

الإسلام بين القارات الثلاث

ويحسن هنا أن نتعرف على توزيع الإسلام بين القارات الثلاث. فأوربا، بما فيها الاتحاد السوفيتي الأوربي، لا تضم من المسلمين إلا نحو ١٥ – ٢٠ مليونا يتركز ٤ – ٥ ملايين منها في البلقان خاصة غربه وبالأخص في يوجوسلافيا، والباقي في سوفيتات جنوب الاتحاد في القوقاز وشمال البحر الأسود. تلك إذن مجرد بقايا محدودة الوزن، وجبهة متراجعة تاريخيا وحاليا إذا ما قورنت بإسلام أوروبا الوسيطة المتأخرة، بل بأوروبا القرن التاسع عشر.

فطوال العصور الوسطى كان الإسلام يغطي جزر البحر المتوسط لا سيما صقلية والبليار، فضلا عن الجزء الأكبر من إسبانيا وخاصة الأندلس. وقد انحسرت هذه الجبهة مع طرد المور. غير أن المد العثماني جاء كبديل وتعويض في أقصى الشرق، فكان الإسلام في العصور الحديثة أعظم ثقلا وأوسع انتشارا في كل جنوب شرق القارة حتى الدانوب والمجر إلى سهول جنوب أوكرانيا. ثم بدأ التقلص والانكماش إلى أن اشتد مع القرن الماضي، ثم استكمل بتبادلات السكان والأقليات في العشرينات الماضية، فقد كانت هذه التبادلات السكانية الضخمة في حقيقتها تبادلات دينية بين الإسلام والمسيحية.

وحتى في أيامنا هذه سجل الإسلام انكماشة أخرى حين نقل الاتحاد السوفيتي بالجملة كثيرا من الأقليات الإسلامية في القرم والفولجا إلى سوفيتاته الأسيوية أثناء الحرب الماضية وتقدم الألمان، وإن كان قد سمح لبعضها بالعودة في الستينات كذلك فقد أخرج كثيرا من المسلمين من بلغاريا واتجهوا إلى تركيا من عام ١٩٥٠.

والمحصلة النهائية هي أن الإسلام الآن ليس إلا ظلا باهتا لما كان عليه يوما ما في أوربا المتوسطية والجنوبية الشرقية. بيد أننا ينبغي أن نضيف أن هذا التراجع والانكماش هو عملية زحزحة وخروج وليس ردة دينية بطبيعة الحال، فيكاد الإسلام أن ينفرد بين الأديان جميعا بأنه لم يعرف أي ارتداد عقائدي بمعنى التحول عنه إلى غيره وإن عرف الانحسار والتراجع الجغرافي في أكثر من مرحلة وفي أكثر من جبهة. هذا، وإذا كان الإسلام قد سجل "كسبا" حديثا في أوربا، ممثلا في الهجرة من المغرب العربي، خاصة من الجزائر، إلى فرنسا حيث يقيم نحو نصف المليون إلى المليون منهم، فإن هذا وضع خاص جدا ومؤقت ولا يمكن أن يعد توطنا حقيقيا دائما.

وإذا كان الإسلام قد تراجع أو تضاءل في أوربا، فهو على العكس من ذلك في إفريقيا: جبهة مدية زاحفة بقوة وإيقاع لا يعرفها في أي قارة أخرى كما لا يعرفها أي دين آخر سواه في الوقت الحالي في أي مكان. فلقد قدر عدد المسلمين في عام ١٩٣١ بنحو ٤٠ مليونا، بينما قدر في عام ١٩٥١ بنحو ٨٥ – ٩٠ مليونا، وهو الآن بلا شك يتعدى علامة المائة بكثير، ربما مائة ازدادوا عشرا أو خمسة عشر. وهذا من مجموع قدره نحو ٣٥٣ مليونا حاليا يعني زهاء ثلث القارة: وهي طفرة لا يمكن أن تفسرها الزيادة الطبيعية وحدها.

وهكذا إذا كان الإسلام قد فقد البحر المتوسط "كبحيرة إسلامية"، فإنه قد كسب إفريقيا كقارة إسلامية. غير أن زحف الإسلام في إفريقيا المعاصرة يختلف عنه في آسيا الوسيطة، ففي الماضي كانت اكتساحة سريعة أخاذة وخاطفة كالطوفان، وهو الآن أقرب إلى الانتشار الغشائي (الأسموزي) الهادئ، وئيد ولكنه أكيد.

والإسلام بهذا وبعد هذا لا يزيد في إفريقيا عن قوته العددية في أي من

الباكستان أو إندونيسيا بكثير أو بالتقريب، وبالتالي لا يكاد يبلغ خمس قوة الإسلام في العالم. ولكنه مع ذلك كفيل بأن يجعل منها "قارة الإسلام" بالضرورة لأن الإسلام لا يصل إلى نسبة الثلث في أي قارة سواها. أبعد من هذا تعد إفريقيا، أكثر من أي قارة أخرى، جبهة ريادة وزحف الإسلام واحتياطي توسعه في المستقبل. فكل شيء بإجماع – وقلق! – كل الكتاب والمبشرين الغربيين قبل سواهم يشير إلى أن دين المستقبل في قارة المستقبل إنما هو الإسلام.

آسيا. بسهولة، هو مركز ثقل الإسلام وبيته الحقيق مثلما كانت موطنه الأصلي، وحدها تضم أربعة أخماس مسلمي العالم أو نحو ٤٥٠ مليون نسمة – آخرون يقولون: ٥٥٠ مليونا. هي إذن للإسلام كأوربا للمسيحية: قلعة وكعبة وقلب. غير أن وزن الإسلام النسبي في آسيا أضعف منه بكثير في إفريقيا، حيث لا يزيد عن ٢٠% من مجموع سكان القارة البالغ نحو ٢٠٠٠ مليون (١٩٧١). أي أن المطلق هنا والنسبي في تعارض ما بين القارتين. هذا، بين قوسين، يكاد يكون عكس الوضع بين أوزان وأثقال قطاعي العالم العربي في آسيا وفي إفريقيا.

كذلك فإن الإسلام في شماله الأسيوي قد أصابه بعض ما أصاب الإسلام الأوربي من تقلص وتدهور لا يرجحه – فيما يبدو – ما يكسبه في جنوبه الموسمي، ومن ثم فهو إلى الاستقرار والثبات النسبي أقرب، وذلك على مستوى القارة ككل. والمقدر أن الإسلام في جنوب القارة لا ينمو الآن إلا بالزيادة الطبيعية للسكان وحدها وبمقدارها.

ولعله قد تبدت للقارئ الآن، من ديناميكيات الإسلام في القارات الثلاث، حركة محددة حديثة أو معاصرة، لا يمكن أن تخطئها العين. إن جسم الإسلام ككل يزحف تحت ناظرينا في حركة كتلية من الشمال إلى الجنوب، فيستبدل

على أطرافه الجنوبية عروضا سفلى بعروض عليا على أطرافه الشمالية. وهو بهذا يزداد دفئا أو حرارة إذ يزداد ابتعادا عن القطب واقترابا من خط الاستواء؛ إنه باختصار وبالمجاز "يهاجر" من أوربا إلى إفريقيا.

ولقد أعطت هذه الحركة مادة لناقدي الإسلام، كما أعطاها الاستعمار كثيرا من دلالة وتأويل. فهؤلاء الذين طالما قذفوا الإسلام بكل النعوت، فسروا هذه "الزحزحة القارية" للإسلام على أنها انزلاق من مستوى حضاري أعلى إلى آخر أدنى، بمثل ما هي تحول عن الجنس الأبيض المسيطر إلى الأجناس "الملونة" المستعمرة. ومن وذاك خرّجوا ما شاء لهم من دعاوى، ليس أشدها نكرا أن الإسلام ليس دين الحضارة الراقية أو أنه "دين الملونين" أو دين مداري وحسب! ولسنا هنا في معرض الدفاع ولكنا نذكر هذه الاتهامات والتأويلات للتسجيل الموضوعي فقط.

مورفولوجية العالم الإسلامي

الآن، كيف يبدو النمط الجغرافي للإسلام أو كيف تتشكل موروفولوجيته العامة داخل إطاره الكبير في العالم القديم؟ ثمة شيء يجبهنا في شكل الإسلام، إذا نظرا إلى خريطة توزيعه الفعلي، نمط قوسي أساسي يتوسط المثلث القاري ويتعامد عليه بصورة ما كمحور هيكلي أو كنطاق محدب، يترامى بعمق متفاوت ولكنه عظيم، ويواكب بصفة تقريبية نصف دائرة المحيط الهندي ويوازيها ويكاد يحف بها وهذا القوس العظيم الذي يبدأ بجناح أيسر عميق عريض في إفريقيا من عروض مدارية سفلى، لا يلبث أن ينثني شمالا لينتظم غرب آسيا ووسطها في عروض أعلى بكثير، ثم إذا به يعود في جناحه الأيمن فينحني نحو الجنوب مرة أخرى وذلك في جنوب آسيا وجنوبها الشرقي حيث يضيق كثيرا ويدق أحيانا حتى ليتقطع ويتبعثر، إلا أن ينتهي كما بدأ في عروض مدارية أو استوائية.

هذا في معنى حقيقي جدا هو "هلال الإسلام"، وفي قلبه، ونكاد نقول كنجمته، يستقر المحيط الهندي، الذي هو منطقيا وبالضرورة "محيط الإسلام". وإذا كان الإسلام قد فقد البحر المتوسط كبحيرة إسلامية أو شبه إسلامية تقليدية، فقد كسب المحيط الهندي الذي أصبح "البحر المتوسط" الجديد في العالم الإسلامي، الحضارمة والعمانيون إغريقه وبنادقته وإن لم يكونوا رومانه.. وبعامة، فمن هذا الشكل القوسي تنبثق حقيقة أساسية وهي أن دار الإسلام في إفريقيا تتركز بالدرجة الأولى في نصفها الشمالي، بينما تقع من آسيا في نصفها الجنوبي.

وقد يمكن أن نرى في تركيب هذا الهلال قدرا ما من السمترية والتناظر، فننظر إليه على أنه يتألف من قلب وجناحين: قلب قاري ضخم متصل يمتد بلا انقطاع من حدود الصحراء الكبرى حتى وسط آسيا؛ وبعده يبدأ جناحان جزريان يتحول الإسلام في كل منهما إلى أرخبيل أو مجموعة من الجزر صغرت أو كبرت، في الغابة في إفريقيا جنوب الصحراء أو في المحيط في آسيا الموسمية. إلا أن الجناح الإفريقي لا يقاس البتة وزنا وثقلا بالجناح الآسيوي. ولهذا فقد يكون من الخير لنا أن نكتفي بأن نميز في هلال الإسلام بعامة بين قطاعين جوهريين واضحين بما فيه الكفاية. قطاع غربي وآخر شرقي، خط التقسيم بينهما يمر بالتبت والهند.

غير أننا قبل أن نتتبع كلا من هذين القطاعين بالدراسة، ينبغي أن نستدرك حقيقة هامة فنقول: إن الإسلام كدين وإن بدا في معظم رقعته نطاقا متصلا فهو كسكان يتألف أساسا وبالدقة من أرخبيل – ليس أرخبيل العرب إلا جزءا منه – من الجزر أو الواحات البشرية المركزة المتباعدة في وسط بحر الرمال أو بحر الماء. ولا تعارض في ذلك بين الحقيقتين الدينية والديموغرافية. فالنمط السكاني

كتل متبلورة يفصلها عن بعضها البعض مساحات شاسعة من الصحارى أو المرتفعات تكاد تكون من اللامعمور.

ثمة كتلة المغرب العربي مثلا، ثم مصر، وسودان السفانا على الجانب الآخر من الصحراء الكبرى، وهناك كتلة الشام والعراق، ونواة تركيا وإيران، وكتلتا الباكستان الغربية والشرقية، حتى نصل إلى الأرخبيل الإندونيسي، هذا عدا كتلة الصين وكوكبة الاتحاد السوفيتي. ويمكن أن نضيف في النهاية أن توزيع الإسلام بعامة يأخذ في ذلك كله صورة ونمط توزيع السكان عامة في محيطه إلى حد بعيد، وهذا أمر منطقي حيث إنه إن لم يمثل الأغلبية السائدة في كثير من مناطقه فهو على الأقل جزء لا يتجزأ من الغطاء البشري فيها.

بل إن هناك حقيقة أساسية وأسية في نمط توزيع الإسلام داخل محيطه الكبير تفرض نفسها على كل باحث. فهذا الأرخبيل المزدحم من الكتل السكانية المنفصلة لا ينتثر عشوائيا كسديم شتيت بلا خطة، وإنما هو يتنضد في سلسلة أو مجموعة متراصة من الحلقات - كحلقات الجزر المرجانية atoll - التي تتجاوز وتتعاقب وقد تتماس بطول امتداده من الشرق إلى الغرب، إن اختلفت في أقطارها وكثافاتها وأوزانها.

ففي إفريقيا الشمالية يتكثف الإسلام الفعال في حلقة متصلة بدرجة أو بأخرى تحف بأطراف الصحراء الكبرى، بادئة بكتلة المغرب الكبير ثم كتلة وادي النيل، وأخيرا يغلق الدائرة نطاق السكان الكثيف في شريط السفانا. فالصحراء الكبرى أشبه في هذا ببحر داخلي عظيم يتكدس المسلمون في شطآنه وسواحله أكثر مما يخوضون فيه. والواقع أن المحاور الرئيسية لانتشار الإسلام التاريخي في هذا النطاق إنما تبعت هذه الشواطئ الكثيفة العمران، ولم يخترق بحر الصحراء إلا شعب فرعية ملأت فراغاته بغشاء، وإن كان عالميا، خفيف جدا كأنه "تراب الإسلام".

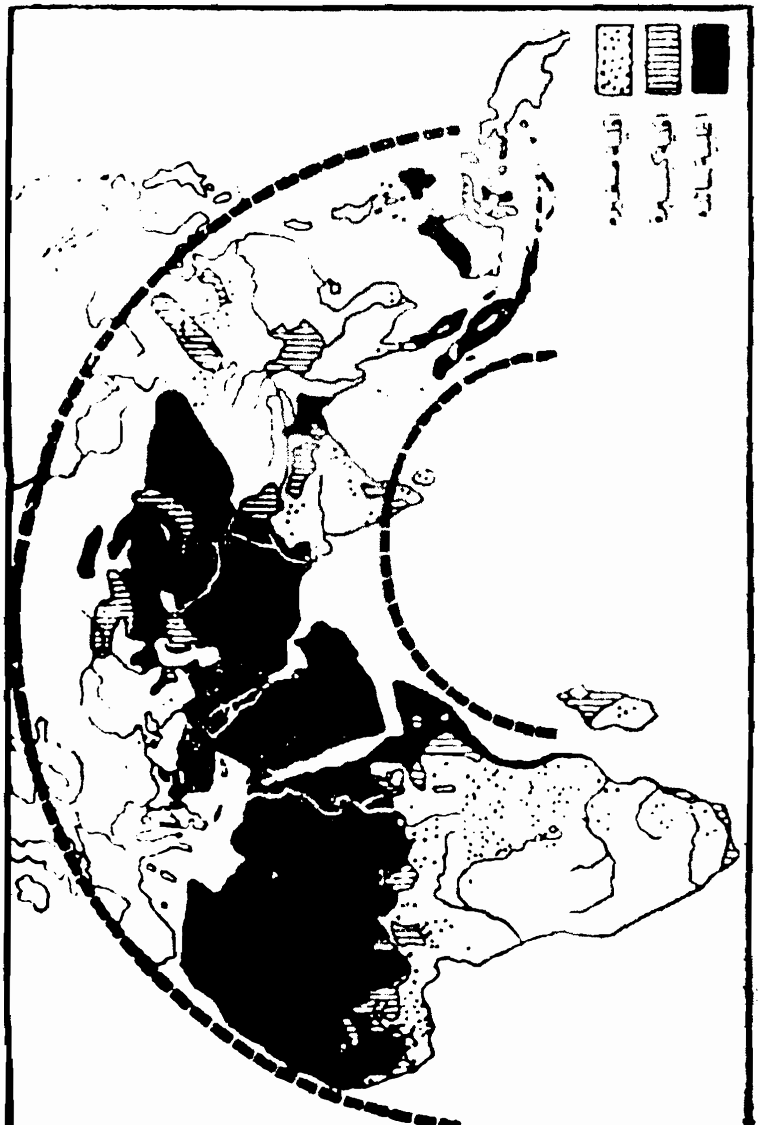

(شكل ١) هلال الإسلام في العالم القديم

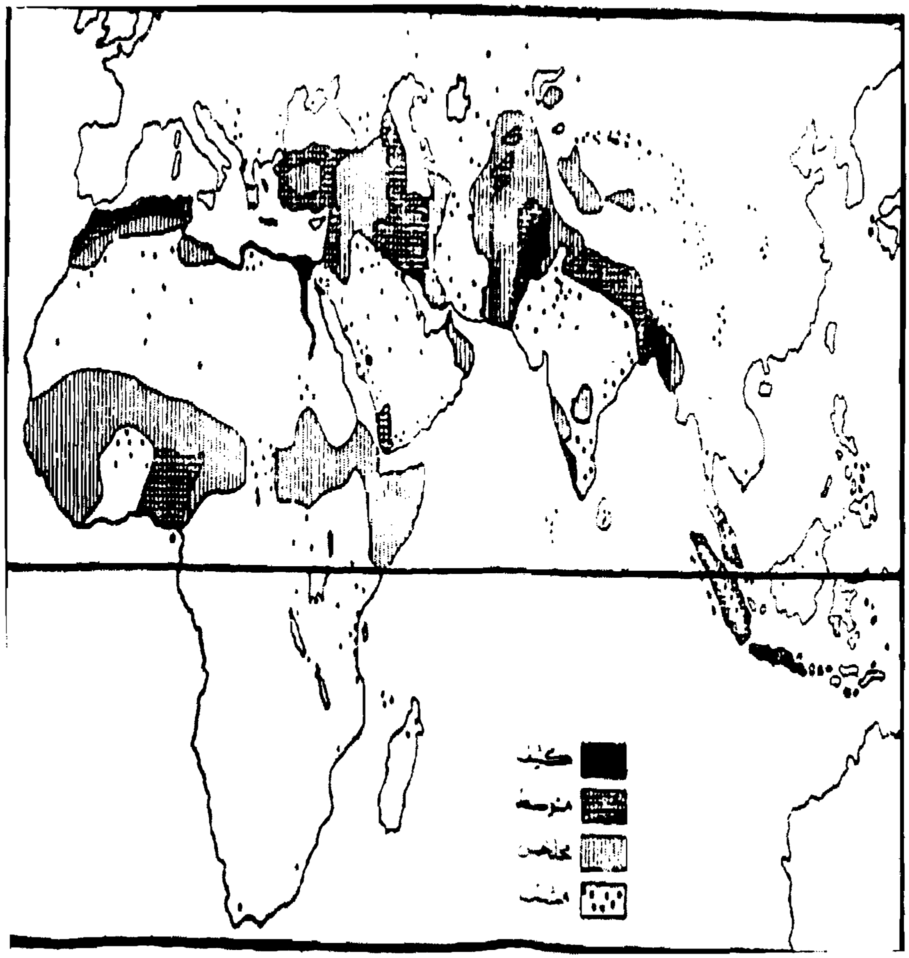

(شكل ٢) كثافة الإسلام السكانية . لاحظ النمط الحلقى فى توزيع كتل الإسلام

والمشرق العربي بدوره يمثل حلقة كلاسيكية هي "الحلقة السعيدة": الهلال الخصيب في الشمال تتممه في جانب كتلة مصر، ثم نطاق الكثافة الذي يحف بالجزيرة العربية على طول سواحلها ابتداء من الحجاز حتى اليمن والجنوب العربي ثم الخليج حيث تتصل الدائرة مع العراق. وداخل هذه الحلقة ليس ثمة إلا "قلب ميت" سكانيا، وإن يكن قلب الإسلام كله عقيدة. كذلك يمتاز توزيع السكان في تركيا تقليديا بتطرفه على الهوامش الساحلية خاصة الغربية والشمالية الغربية تاركا قلب الأناضول شبه ميت. وبالمثل تفعل الكثافة في هضبة إيران الطبيعية حيث يتركز السواد الأعظم من سكان إيران على هوامشها الشمالية والغربية وإلى حد ما الجنوبية، بينما تتم الدائرة مشرقا بكتلة السكان في أفغانستان والباكستان الغربية، تاركة قلبا ميتا آخر في وسط الهضبة بصحاريها الملحية.

وإذا اعتبرنا الإسلام في شبه القارة الهندية ككل لتكرر النمط مرة أخرى: تبدأ الدائرة بكتلة المسلمين الصلبة في الباكستان الغربية، وتستمر على طول نهر الجانج حتى تستقر على خليج البنغال في كتلة الباكستان الشرقية، ثم تكتمل الدائرة على طول سواحل الدكن – دون قلبها – شرقا وغربا. وفي غرب الصين في سينكيانج يرسم توزيع الإسلام نمطا حلقيا بيضاويا. وأخيرا يؤكد النمط نفسه – أو يشي بنفسه بالأحرى – في عالم جزر وأشباه جزر جنوب شرق آسيا. فعلى طول قوس جزر الملايو وإندونيسيا الفستونية نجده، حتى ينثني شمالا عبر سيلاويزي إلى جنوب الفلبين. ويمكن أن نعد الإسلام على الأطراف الجنوبية لفيتنام وكمبوديا نهاية الدائرة. بل حتى البلقان يمكن أن نتعقب هذا النمط الملح. فالإسلام هنا يتركز على هوامشه الحوضية في غرب يوجوسلافيا وألبانيا ثم شمال اليونان ثم تركية أوربا وأخيرا شرق بلغاريا.

القطاع الغربي من الإسلام

نستطيع الآن أن نبدأ رحلتنا في عالم الإسلام بالتفصيل. القطاع الغربي يشمل الإسلام في إفريقيا وغرب آسيا - ومعها البلقان - وكل هضبة إيران ثم الباكستان الغربية، ثم يستمر في سهول طوران وتركستان حتى مشارف الفولجا والأورال شمالا وسينكيانج أو التركستان الصينية شرقا. يتأرجح وزن هذه الكتلة الضخمة حوالي ٣٨٠ - ٤٠٠ مليون نسمة، أي أنها تقترب من ثلاثة أخماس العالم الإسلامي جميعا. فإذا أضفنا أنها تغطي - مساحة - الرقعة الكبرى والكبرى جدا من أرض الإسلام، جاز لنا أن نعدها صلب ومركز ثقل الإسلام.

والقطاع ككل يبدو كقاطع ضخم بارز عبر العالم القديم، حتى ليحسبه البعض كل هيكل العالم الإسلامي، وهو ما ليس صحيحا بالدقة لأنه يغفل القطاع الشرقي برمته. أو قد يرى البعض في هذه الكتلة الماموث قارة داخل القارات، "قارة وسطى" كم يسميها مونتي V. Monteil، أو "جزيرة قارية" في صميم يابس العالم القديم. وأهم حقيقة جغرافية في هذا القطاع بلا ريب أنه بقعة زيت عظمى تمددت، كتلة واحدة متصلة لا انقطاع فيها وإن دقت كثافتها وتخلخلت كلما بعدنا عن قلبها بصورة عامة حتى تتعرج على أطرافها والهوامش في بروزات كالرءوس والخلجان، تتقطع كالجزر والأسافين في المحيط غير الإسلامي المجاور، وذلك كما على حواف الغابة المدارية في إفريقيا جنوبا وكما في البلقان وعلى أطراف القوقاز واستبس وسط آسيا شمالا.

والذي يفسر هذا الاستمرار الأرضي الطاغي هو أولا وبلا تردد قرب الكتلة جميعها من الموطن الأصلي للإسلام، فكانت قوة دفع العقيدة بكرًا فتية ونبض الانطلاقة مرتفعًا غلابا، فجاء انتشار الدين في كل الاتجاهات غطائيا عالميا وكاسحا، غير أن ثمة بعد هذا عاملا جغرافيا مساعدًا ومواتيًا، إن لم يكن ضاغطا، هو طبيعة الكتلة القارية المتصلة لا سيما في إفريقيا القارة - الكتلة بالضرورة.

العالم العربي

حوالي الوسط الجغرافي من هذا القطاع العربي من الإسلام يقوم العالم العربي كقلب العالم الإسلامي النابض، باعتباره مهد العقيدة وموطن الأماكن المقدسة، فالعالم العربي هو أولا النواة النووية في الإسلام، وهو بعد القطب المغناطيسي للمؤمنين. لكن العالم العربي بعد هذا أكثر من قلب: إنه أيضا رأس، ورأس مؤثر وموحٍ عند ذلك، على الأقل في القطاع الغربي من الإسلام. ذلك أنه يضم وحده أكثر من ١١٠ ملايين، الغالبية الساحقة منهم من أبناء الدين، يمثلون خمس وربما أكثر من خمس المسلمين جميعا، وأهم منها يمثلون قمة تطور وتبلور وأصالة العقيدة ونقاوتها مذهبيا. ولهذا كان أمرا مقدورا دائما ومن قديم أن يلعب العالم العربي في العالم الإسلامي دورا خاصا لا على المستوى الديني فحسب، بل وعلى المستوى السياسي كذلك.

وهنا ينبغي أن نلاحظ أن الإسلام يختلف في تاريخه وتوسعه عن بعض الأديان الكبرى الأخرى. فكثيرة هي الأديان التي نشأت في موطن – مشتل ثم هاجرت منه وهجرته كلية أو تقريبا لتنتشر خارجه أساسا كالبوذية بالنسبة إلى الهند وكاليهودية والمسيحية بالنسبة إلى فلسطين. لكن الإسلام وحده يتفرد أو يمتاز بأنه، رغم أن انتشاره الأكبر يقع اليوم خارج موطنه الأصلي في العالم العربي، فإن هذا الموطن لم يزل له معقلا أساسيا وظل دائما حقلا كثيفا من أخصب حقوله. غير أن الشق الأسيوي من العالم العربي إذا كان مهد الإسلام ومشتله الأول، فإن الشق الإفريقي هو اليوم حقله الرئيسي مساحة وسكانا، إذ يحتكر نحو ثلثي العرب (٧٥ مليونا) حيث لا يضم الأول إلا الثلث، وتستوعب مصر وحدها أقل قليلا من ثلث العرب المسلمين، وتكاد تعادل بذلك أيا من آسيا العربية أو مجموع المغرب العربي الكبير وتأتي بذلك رابعة أو خامسة دول العالم في عدد المسلمين.

بيد أن العالم العربي بعد هذا ينتظم نسبة مذكورة من الأقليات الدينية، وهو

أمر مفهوم تاريخيا وجغرافيا، لأنه هو أيضا مهد الديانات التوحيدية الأسبق. فرغم أن آخر وأحدث الغطاءات الدينية التي نشأت وانتشرت في المنطقة هي التي سادت في النهاية، إلا أن بقايا الغطاءات الأسبق والأقدم ظلت متوطنة في جيوب عدة هنا وهناك. على أن هذه الأقليات تختلف ما بين المشرق والمغرب. فصلبها في الأخير هو اليهودية حيث كانت قوتها تبلغ تقليديا نحو نصف مليون، مركزها الرئيسي في المغرب الأقصى (مراكش)، إلى أن بدأت أخيرا تتناقص بسرعة بالهجرة الخارجة.

أما في المشرق فإنها هي المسيحية أساسا، وتتركز في نواة صلبة رئيسية في مصر ونوية ثانوية في الشام. ففي مصر مليونان من الأقباط مع امتدادهم في السودان بين كتلتهم في مصر وكتلتهم في إثيوبيا. إلا أن هذا – نسبيا – لا يشكل إلا ٦% من مجموع سكان مصر. وعلى العكس من هذا الشام؛ فهنا لا يزيد حجمها عن المليون تقريبا، ولكنها بالنسبة أثقل وزنا من نواتها في مصر. فتتفاوت محليا ما بين نصف السكان في لبنان ونحو ١٦% في سوريا وأقل من ذلك في فلسطين.

لكن هذه جميعا هي الأقليات الدينية الوطنية، إلى جانبها ينبغي أن نضيف الأقليات الطارئة الدخيلة التي جلبها الاستعمار: اللاتيني في المغرب والصهيوني في المشرق. وهي في الحالتين تتناقض ونوع الأقلية الوطنية. ففي المغرب حيث الأقلية الوطنية يهودية، جلب الاستعمار اللاتيني – خاصة الفرنسي – نحو مليونين من المسيحيين تركز أكثر من نصفهم في الجزائر وحدها. ومن حسن الحظ أن التحرير قد صفى السواد الأعظم منها جميعا. أما في المشرق حيث الأقلية الوطنية مسيحية أساسا، حشد الاستعمار الصهيوني قطيعا خلاسيا مغتصبا من شذاذ اليهود يناهز هو الآخر المليونين ونصف المليون. وكنظيره في المغرب، لا يمكن إلا أن يعد انحرافة طارئة دخيلة، ولا يمكن إلا أن يلقى نفس المصير، وهو يوم قد يراه البعض بعيدا ونراه قريبا.

إفريقيا المدارية

من العالم العربي ننتقل إلى الإسلام في إفريقيا المدارية لنلقي -بتقريب شديد نحو من ٥٥ – ٧٠ مليونا من "المسلمين السود" أو "المسلمين البانتو" أو "الإسلام المداري" كما يسميهم الكتاب الأوربيون.

ويتوزع هذا النطاق أساسا بين غرب إفريقيا في الدرجة الأولى وشرقها في المحل الثاني. ففي غرب إفريقيا يستوعب الإسلام صف دول الصحراء والسفانا في الشمال (تشاد، النيجر، مالي، موريتانيا، السنغال، زمبيا) وصف دول السفانا والغابة في الجنوب، في الأولى كأغلبية مطلقة لا تقل عن ٩٠% بحال، وفي الثانية كأقلية هامة باستثناء غينيا التي يسودها الإسلام. في الأولى يتركز سكانا في الشريحة الجنوبية من دولة وإن كان عالميا كدين في رقعة الدولة، وفي الثانية يتركز سكانا ودينا في القطاعات الشمالية ويقل بسرعة واطرد كلما اقتربنا من الساحل.

وتفسير النمط الجغرافي الأخير في دول السفانا والغابة أن هنا التقى تيارا الإسلام من الشمال والمسيحية القادمة مع الاستعمار من الجنوب، فتركز الأول خاصة في الشمال السافاني وتوطن الثاني في السواحل الجنوبية. ولكن السيادة العددية العامة لا تتحقق لأي منهما، بل تظل للوثنية الاستحيائية. ففي الكمرون مثلا نصف مليون مسلم، وفي الفولتا العليا يؤلف المسلمون من طوارق وفولا وديولا نحو ٦٠٠ ألف، وفي غينيا "الصغرى" (البرتغالية) يجمع الماندنجو والفولا ١٧٢ ألفا، وثمة في ليبريا جماعات الماندتان الشديدة التمسك بالإسلام. وفي بقية وحدات السفانا والغابة ابتداء من سيراليوني حتى جمهورية إفريقيا الوسطى، بل وحتى جنوب السودان تسود الوثنية ولكن المسلمين كثيرون، كما أن بالكنغو، غير بعيد، نحو ١٠٠ ألف مسلم (الأرقام الأخيرة أرقام أوائل الستينيات).

ولكن نيجيريا لا شك أهم جزيرة إسلامية في إفريقيا السوداء، وتستدعي وحدها وقفة قصيرة. ففي عام ١٩٥٣ حين كان مجموع سكان نيجيريا الكلي ٣٠,٥ مليونا كانت نسبة المسلمين تتراوح حول ٤٤ – ٤٦%، أي تضم نحو الإسلام إلى ٧٠ أو ٨٠%، ولا يتسرب منه إلى الجنوب إلا أطراف ثانوية تهوي معها نسبته إلى الثلث في الغرب والصفر في الشرق. وفي عام ١٩٦٣ أتى أول إحصاء بعد الاستقلال، أتى نيجيريا بمجموع ٥٥,٥ مليون نسمة، أجمع الكل داخل وخارج نيجيريا على افتعاله ومبالغاته العامدة إلى درجة تسلبه كل قيمة. ويرجح البعض أن الرقم الصحيح ربما كان يدور حول الأربعين مليونا. فإذا صح هذا، فلعله كان في نيجيريا يومئذ نحوا من ١٨ – ٢٠ مليون مسلم، قد تصل اليوم إلى ٢٥ – ٢٧ أو ٣٠ مليونا، وهو ما يجعلها الدولة السادسة أو السابعة في عدد المسلمين في العالم والثانية في إفريقيا.

وعدا هذا فمن الواضح في نيجيريا أن الإسلام يرتبط بالسفانا أكثر منه بالغابة، ولكن أيضا بالسهول أكثر منه بالمرتفعات التي تحولت إلى ملاجئ للعناصر الوثنية المستضعفة الهاربة من زحف المسلمين الفولا والحوصا (الهاوسا)، ومثالها هضبة جوس (بتشي) في الوسط حيث تتكدس قبائل كالتيف Tiv والنوبي Nupe. وبين هذه الجماعات وأمثالها يتقدم الإسلام اليوم بخطى حثيثة، وأحيانا تفرض الشريعة الإسلامية نفسها قانونا لا دينا محل التقاليد القبلية الاستحيائية كما هو مشاهد بين النوبي.

أما إذا انتقلنا إلى الإسلام في شرق إفريقيا، فإن إثيوبيا هي النواة. ففيها يقدر المسلمون بنصف مجموع السكان الكلي الذي تتراوح تقديراته بين ١٢، ١٨ مليونا. وهنا يتبلور معامل الارتباط بين الإسلام والكنتور (خط الارتفاع): فيبدو الإسلام بوضوح دين السهول في الشرق والجنوب (إسلامبحري) حيث المركز

هرر وحيث العنصر السائد هو الجلا والدناكيل. هذا في حين أن الهضبة في الغرب هي القلعة المسيحية القبطية القديمة التي تمثل أكبر جزيرة مسيحية في القارة الإفريقية سواء أصيلة أو دخيلة. وتتكرر العلاقة في إرتريا حيث ينصف مجموع السكان (١,٥ مليون) بالتساوي بين الإسلام والأقباط، وحيث يتركز المسلمون في النصف الغربي السهلي والساحل السهلي بنسبة ٩٥% من مجموعهما في حين يركز الأقباط في النصف الشرقي الهضبي بنسبة ٨٥% من مجموعه.

وتنتقل إلى الصومال بأقسامه العديدة لنجد نسبة الإسلام ترتفع إلى أعلى ما تصله في إفريقيا – ٩٩% – ولكنه لا يزيد في جملته عن الثلاثة أو الأربعة ملايين عددا. ونحو هذا نلقاه على طول الساحل ابتداء من كينيا حتى الرأس. ولكن بثقل أساسي قطبه حوالي زنجبار، وبعمق متفاوت يصل إلى خط البحيرات ابتداء من فيكتوريا إلى تنجانيقا ونياسا. والإسلام هنا قديم الجذور، إلا أنه تلقى موجة جديدة في القرن الماضي والحالي مع هجرة الهنود إلى الساحل الشرقي لإفريقيا الجنوبية. وهذه هي الهجرة التي تعلل وجود أكثر من ١٥٠ ألف مسلم في جمهورية جنوب إفريقيا. والإسلام في كل هذا النطاق يتبع أساسا نمطا ساحليا في توزيعه، ويقل كلما توغلنا في الداخل وارتقبنا المرتفعات، كما أن تركزه في المدن أوضح. وهذا – سيلاحظ – على النقيض من الصورة مصدرا وموقعا في غرب إفريقيا حيث النمط داخلي لا ساحلي. وكل هذا يذكر بأصله البحري الذي جاء من جنوب الجزيرة العربية مباشرة ثم ارتبط دائما بساحل البحر. ففي جنوب إفريقيا مثلا يتوزع المسلمون كالآتي: ٤٦ ألفا في الكاب، ٣٥ ألفا في ناتال، ٢٨ ألفا في الترنسفال، في حين يختفون من الأورنج الداخلية (أرقام أوائل الستينيات المتاحة).

من البلقان إلى الباكستان

يبقى الآن من القطاع الغربي للإسلام أن ندرس امتداده في غرب ووسط آسيا خارج العالم العربي، وقد يجوز أن نضمنه أطرافه البلقانية كنقطة ابتداء. وتنقسم هذه الرقعة بوضوح إلى نطاقين، هضبي في الجنوب وسهلي في الشمال. فأما الأول فسلسلة متصلة من الأحواض الهضبية المرتفعة المغلقة حلقاتها: البلقان فالأناضول فإيران الطبيعية حتى مشارف السند. هنا يمكن أن نتكلم عن "الإسلام المعلق" الذي يعتلي ظهور هذه القلاع الطبيعية الشماء.

ففي البلقان يقع مركز ثقل الإسلام في هوامشها وحوافها الغربية الأكثر جبلية بصفة خاصة. فتجمع يوجوسلافيا وألبانيا فيما بينهما نحو ٣ – ٤ ملايين مسلم أو أكثر. وإذا كانت نسبة الإسلام في ألبانيا هي العليا حيث تصل إلى حوالي الثلثين، فإن قوته العددية لم تكن تزيد في عام ١٩٥٥ عن ٧٠٠ ألف، قل ثلاثة أرباع المليون أو المليون اليوم. وعلى العكس من هذا يوجوسلافيا، لا يعدو فيها الإسلام ثمن السكان نسبة (١٢,٣%)، ولكنه قد لا يقل الآن عن الثلاثة ملايين عددا. ويتركز مسلمو يوجوسلافيا خاصة في مقاطعات الجبل الأسود والهرسك والبوسنة، وتعد سراييفو وسكوبيه skopje المركز الديني للإسلام.

ثم نتجه جنوبا إلى اليونان حيث بلغ تعداد المسلمين في عام ١٩٥١ نحو ١٠٥ آلاف. والإسلام في اليونان يعني توا منطقة سالونيك التي كانت من مناطق الارتكاز التركي التقليدية في العصر العثماني. ويرتبط باليونان نواة أخرى من المسلمين في قبرص، ولكنها من أصل تركي خالص، تناهز المائة ألف نسمة من مجموع الجزيرة الكلي الذي يربو قليلا على نصف المليون. ولا يتركز المسلمون في قبرص في قطاع بعينه، ولكنهم أدنى إلى الانتشار في كل أجزائها بصفة عامة.

فإذا ما عدنا إلى جذع البلقان، يستمر الوجود الإسلامي على طول ساحلها الإيجي في تراقيا ثم في تركية أوربا حيث يتركز نحو ٣ ملايين من المسلمين. ومع ساحل البحر الأسود في شرق بلغاريا يستكمل الإسلام نمطه الحلقي، فنجد جزيرة إسلامية تستمر عبر الدوبرجه برومانيا حيث مصب الدانوب وتتعداه في رشاش متطاير إلى مشارف بسارابيا، وللمسلمين في بلغاريا تقدير رسمي وضع في عام ١٩٤٩ يدور حول ثلاثة أرباع المليون من مجموع كلي كان قدره نحو ٧,٦ ملايين، وكان ٦٣٨ ألفا من الأتراك أصلا، ١٢٣ ألفا من البلغار الذين يعرفون باسم البوماك Pomaks. وليس لدينا تقدير حديث، ولكن قد لا يزيد العدد اليوم عن ذلك كثيرا حيث قد تعرض كثير من البوماك الترك للطرد منذ عام ١٩٥٠ إلى تركيا.

أما تركيا نفسها فكتلة إسلامية ضخمة بلغ حجمها نحو ٣٤,١ مليونا في عام ١٩٧٠ بنسبة ٩٨,٩% للمسلمين. ولعلها الآن - كمصر - الرابعة أو الخامسة في عدد المسلمين بين دول العالم، والحقيقة المركزية في الإسلام التركي أنه تعرض في الفترة الحديثة الكمالية وقبل الكمالية لعملية تكثيف وتبلور تمت بطرق إيجابية وسلبية، إيجابا بنقل أكثر من ثلث مليون من المسلمين الأتراك من البلقان إلى الأناضول وإعادة نحو المليون من اليونان المسيحيين من آسيا الصغرى إلى وطنهم الأصلي، وسلبا بالمذابح والمعارك الحربية التي صفت عددا آخر من اليونانيين في الغرب، وعددا أضخم - يفوق المليون في بعض التقديرات - من الأرمن في الشرق. وبغض النظر عن الأسلوب، فقد أدى هذا لا إلى مزيد من "التجنيس الإثنولوجي" داخل الأناضول فحسب، وإنما كذلك إلى التجنيس الديني شبه المطلق.

وإذ ننتقل إلى هضبة إيران - بمعناها الطبيعي - نلقى كتلة إسلامية تناهز الخمسة والأربعين إلى الخمسين مليونا: نحو ٣١ مليونا في إيران، ١٦ في

أفغانستان، وتنفرد إيران بأنها كتلة الشيعة الأولى في العالم الإسلامي جميعا، فهنا موطن الاثنا عشرية التي يتشعع نفوذها بدرجة ما غربا في جنوب العراق، وبدرجة أقل شرقا في أفغانستان وبعض باكستان. ففي إيران لا تزيد السنية عن المليون أو المليونين، وعلى العكس أفغانستان لا تزيد الشيعة فيها عن المليون. هذا وينبغي أن نشير، على التخوم المشتركة بين كتلتي تركيا وإيران، إلى ألسنة جبلية يرسلها الإسلام في منطقة أرمينيا والقوقاز وأذربيجان من الاتحاد السوفيتي. فهنا يغطي الإسلام كثيرا من هذه العقيدة الجبلية ثم ينحدر على سفوحها الشمالية هابطا مع السهول حتى شواطئ قزوين الغربية في توزيع نقطي متقطع يؤدي بالتدريج إلى الإسلام الغطائي الذي يغمر سهول طوران شمال وشرق البحر.

أخيرا ينتهي خط إسلام الهضاب الجبلية في الشرق بكتلة باكستان الغربية. هنا شريحة طولية تتخذ من نهر السند محورا لها، وتمثل أكبر كتلة إسلامية منفردة في كل القطاع الغربي من العالم الإسلامي، وبكثافة نادرة كذلك. ففي عام ١٩٧٠ بلغ تعداد باكستان الغربية نحو ٥٩ – ٦٠ مليونا يمثل المسلمون منهم ٩٧,١%. وكما في تركيا، مر الإسلام هنا بعملية استقطاب وتركيز دموية هي الأخرى أو على الأقل رهيبة، تمت عن طريق المبادلات السكانية والهجرة بالجملة بين الهند والباكستان إبان التقسيم. ففي عام ١٩٤٧ عبر حدود البنجاب ٣,٥ ملايين، وفي عام ١٩٤٨ كان المد الأساسي حين غادر ٦,٥ ملايين مسلم الهند إلى غرب البنجاب بباكستان الغربية، بينما هاجر من الأخيرة إلى الهند ٦ ملايين من الهندوس والسيخ.

ومن الفولجا إلى سينكيانج

لا يبقى لنا الآن إلا أن نطل إطلالة من حالق، من سقف البامير أو سطح إيران، على وسط آسيا الذي ينداح من التركستان الروسية حتى التركستان

الصينية، لننتقل من إسلام الهضاب إلى إسلام السهول. فهنا سهل حوضي ساحق الأبعاد سحيق الموقع، سهل طوران أو التركستان الروسية، إن احتل موقعا هامشيا من العالم الإسلامي، فهو يكاد يحتل من العالم القديم قلبه الهندسي، ويوشك أن يكون قطب القارية فيه ممثلا أبعد قلب اليابس عن المحيطات. غير أنه في الشرق يرتفع سريعا وشديدا إلى هضاب وجبال التركستان الصينية (سينكيانج) التي تترامى حتى مشارف منغولي الداخلية والصين الحقيقية، ويعود الإسلام عليها معلقا مرة أخرى.

في هذه الدائرة موطن للإسلام قديم وعريق، مركز ثقله في التركستان الروسية وأطرافه في الصينية. ففي الأولى يتوزع الإسلام ابتداء من الفولجا، أعاليه وأسافله، بل من جنوب الروسيا الأوربية شمال البحر الأسود والقرم، ممتدا شمالا حتى عروض موسكو وبرم وأومسك، غير بعيد - يعني - عن الحدود الشمالية لجمهورية كازاكستان السوفيتية حاليا. وقد كانت سيادة الإسلام هنا تقليديا سيادة مطلقة أو شبه مطلقة بين القبائل والشعوب التركية المغولية من تركمان وكازاك وقرغيز وتاجيك وأزبك، إلى أن بدأ التوغل القيصري في القرن الماضي ثم تيار الهجرة السوفيتي الحديث من سالف الروسيا الأوربية.

فإذا كان مجموع السكان الكلي في المنطقة قد ارتفع كثيرا بالتنمية الاقتصادية الانفجارية وبالهجرة السكانية الداخلة، فإن نسب الإسلام قد انخفضت كثيرا، وكثيرا جدا أحيانا، بينما لم يزد عدد المسلمين في الأرجح كثيرا جدا. ويعطي تعداد عام ١٩٥٩ لجمهوريات وسط آسيا الخمس الرئيسية هنا نحوا من ٢٣ مليون نسمة، غير أن من الصعب أن نقدر عدد المسلمين منهم. ولكن المعروف أن نسبة العناصر الروسية المهاجرة تتراوح الآن بين ٦٠% في جمهوريات الشمال الأقرب إلى المصدر، ٢٠% في جمهوريات الجنوب الأبعد عنه.

ولما كانت جمهوريات الشمال هي إلى أبعد حد الأكثر تعدادا، وإن كانت بحكم ضخامة مساحتها الأقل كثافة، فإن هذا يعني على الجملة أن مجموع عدد المسلمين هو على الجانب السالب الخاسر، وأنهم إنما يظلون الأغلبية محليا فقط حيث حجم السكان الكلي ضئيل، بينما يتحولون إلى أقلية متضائلة حيث النصيب الأوفر من مجموع السكان الكلي. وليس من الممكن التنبؤ إلى أي مدى سيغرق الطوفان السلافي العنصر المغولي الأصلي أو يطمس معالمه الإسلامية.

أما عن التركستان الصينية (سينكيانج) فهي إلى حد كبير امتداد مصغر للإسلام في الروسية، وهي حلقة الاتصال وجسر الانتقال بين الإسلام في غرب آسيا وفي الصين الحقيقية، وكان ممر زونجاريا الشهير على تخومها الشمالية ممرا للإسلام في طريقه إلى الصين بمثل ما كان من قبل ومن بعد ممرا للطوفانات المغولية والتترية على غرب آسيا وشرق أوربا، كما كان "طريق الحرير" على تخومها الجنوبية طريق الإسلام الآخر حول الحوض. ويعد المسلمون هنا إثنولوجيا بدرجة أو بأخرى امتدادا عبر الحدود لكثير من شعوب التركستان الروسية، فإلى جانب عناصر الخوي واليوجور والسالار وخلخاس ونونجشيانج، يضم الإسلام أيضا عناصر من الأزبك والتاجيك والتتار والكازاك. ومن الصعب أن نحدد عدد المسلمين في سينكيانج التي تبلغ كلها ٥ – ٧ ملايين، ولكنهم على أية حال يشكلون الأغلبية الساحقة تقليديا.

القطاع الشرقي من الإسلام

عالم آخر برمته يفصله عن كتلة الإسلام المتصلة في الغرب برزخ أرضي عريض وصريح يمتد على محور شبه جزيرة الهند وهضبة التبت. ذلك هو القطاع الشرقي من العالم الإسلامي. وما يقصد بهذا أن الهند تخلو من الإسلام وإن فعلت التبت، وإنما المسلمون ها هنا أقلية ضئيلة نسبيا أولا، وأقلية

مبعثرة في خضم الهند الشاسع ثانيا. وهذا الانقطاع المحوري الرئيسي هو الذي يفسر انشطار دولة الباكستان إلى إقليمين منفصلين يفصل بينهما برزخ أرضي عرضه ١٠٠٠ ميل كاملة. وتركيب الباكستان السياسي بهذا أبرز مظهر ونتيجة – ونوشك أن نضيف: وضعية – لانقسام هلال الإسلام إلى قطاعين رئيسيين.

وهذا ما يضع أيدينا على السمة الجوهرية في صورة الإسلام في هذا القطاع الشرقي. الجزرية هي تلك السمة، والتقطع هو مفتاحها. فعلى النقيض من القطاع الغربي، أهم ما يميز القطاع الشرقي أنه أرخبيل من الإسلام يتألف من كوكبة محدودة العدد من الجزر الحقيقية في إندونيسيا أو المجازية في تضاعيف الغابة الموسمية على القارة؛ جزر صغير اتساعها نسبيا ولكن ضخم حجمها سكانيا بفضل كثافة عنيفة تعوض بها عن المساحة. ولا شك أن هذا التقطع الأسي يعكس إلى مدى بعيد درجة البعد عن قلب الإسلام في مهده العربي، فمع المسافة السحيقة من الطبيعي أن تضعف قوة الاندفاعة وأن يتقطع نفس الحركة. وكذلك وبنفس القوة فهو انعكاس لطبيعة المسرح الجغرافي هنا: أشباه جزر وجزر قطعتها الطبيعة بالبحار القارية من الخارج وبالجبال الوعرة في الداخل.

وعلى الخريطة يبدو هذا القطاع الشرقي هزيلا للقطاع الغربي بالغ الضآلة في امتداده ومساحته، حتى ليوشك في مجموعه ألا يزيد عن شريحة منه في حجم الجزيرة العربية مثلا. ولكنا هنا في عالم الكثافات السكانية الثري، وفي مشتل متوطن مزمن للبشرية لا يداني في اكتظاظه. من هنا تتكشف الحياة وتتكدس وتتضاغط إلى أعلى بدلا من أن تنساح أفقيا؛ ومن هنا تتعارض دلالة الخريطة الجغرافية ودلالة الجدول الإحصائي، ومن هنا وزن القطاع في عالم الإسلام. فهنا ما لا يقل عن ٢٥٠ مليون مسلم تعادل خمسي المسلمين في العالم بالتقريب.

ومن هذا الاحتشاد الضخم في عدد قليل من النوبات، لم يكن غريبا أن نجد هنا في القطاع كبرى دول العالم الإسلامي قاطبة الباكستان وإندونيسيا، بل حتى حيث يتحول الإسلام إلى أقلية نلقي متناقضة أكثر إثارة وهي أنه يظل قريبا من الصدارة كما في الهند حيث تأتي – بعدهما – الثالثة بين دول العالم من حيث عدد المسلمين، وحيث تضم منهم أكثر مما تضم أي دولة إسلامية بحتة في القطاع الغربي بما في ذلك نواته العربية!.

ويمكن أن نحلل هذا الأرخبيل الإسلامي – مورفولوجيا – إلى خطين محوريين من فستونات الجزر القوسية الواضحة بدرجة أو بأخرى. ففي الشمال أقل الخطين وزنا، حيث يجمع بين جزيرة الإسلام في شمال غرب الصين وكوكبته المنتثرة في شرقها حتى ينتهي إلى الفلبين. وفي الجنوب المحور الأساسي الذي يجمع بين جيوب الإسلام في الهند وجنوب غرب الصين حتى يصل الملايو وإندونيسيا. غير أن من الخير لنا أن نتخذ الوحدات السياسية أساسا لدراستنا التحليلية، ولتكن الصين بدايتنا حتى نلتقط الخيط في أقرب موضع تركناه من القطاع الغربي.

إسلام الصين

في الصين ظل المسلمون لفترة طويلة يقدرون تقليديا بما يتراوح بين ٢٠، ٣٠، ٤٠ مليونا، وربما وصل بهم البعض إلى ٥٠ مليونا، وكان هناك من يخمن نسبتهم بنحو ٥% من مجموع السكان. ولو صحت هذه الأرقام والنسب لحق أن نرفع حجم الإسلام الصيني إلى حد قد يجعل الصين – لا الهند – ثالثة دول العالم من حيث تعداد المسلمين. ولكن يبدو أن الإسراف في التفاؤل كان يحكم هذه التقديرات، فقد خرج تعداد الصين الشعبية الأول (١٩٥٣) بما لا يزيد عن ١٠ ملايين مسلم فقط، أغلبهم من العناصر التركية، وليس أقلهم خارج الصين

الحقيقية، فإن صح هذا الرقم الذي يهوي بنسبة الإسلام من جزء من عشرين إلى جزء من خمسة وسبعين. فهو عدا خيبة الأمل فيه جدير بأن يغير من تقديرنا لحجم الإسلام بعامة ولوزنه في آسيا بخاصة.

ومهما يكن من أمر، فالمسلمون في الصين يوجدون في كل مقاطعة، غير أنهم يتركزون في ثلاث جزر أساسية ترسم فيما بينها زاوية قائمة بالتقريب. أولا وأهمها هي منطقة الشمال الغربي في مقاطعات كانسو (الأقرب إلى سينكيانج) ثم شنسي، شانسي، وهونان. ذلك مركز الثقل. أما الجزيرة الثانية ففي الشمال في مقاطعات هوبي وشانتونج وتجاه تخوم منشوريا، ومركزها التاريخي حول بكين. وفي الجنوب الغربي في يونان تتوطن الجزيرة الثالثة. وليس يفصل بين هذه النوايا ثغرات حقيقية؛ فعلى الطرق بينهما يظل للإسلام وجود خاص كما في حوض ستشوان مثلا.

وعلى الفور يشكل هذا التوزيع مؤشرا إلى، وانعكاسا لطرق دخول الإسلام في الصين. فرغم أن العلاقات التجارية البحرية بين العرب والصين تسبق العصر الإسلامي بكثير، ورغم جاليات التجار العرب ثم المسلمين في مدن وموانى الصين الساحلية ابتداء من كانتون حتى بكين طوال أو خلال العصور الوسطى، فإن البحر لم يكن قط طريق الإسلام إلى الصين. وحتى الوقت الحالي لا يزيد المسلمون في مواني ومقاطعات السواحل عن عشرات من الآلاف. إنما دخل الإسلام الصين من الغرب، من القارة، من الطريق البري، ابتداء من سينكيانج وامتدادا لها. وهذا يفسر موقع جزر الإسلام الثلاث على الأطراف الغربية للصين الحقيقية، كما يوضح دور نواة الشمال الغربي الرئيسية كأرض الزاوية في التوزيع والانتشار والتي لعبت دور الرافعة في الإسلام شرقا وجنوبا، ورغم أن بعض العناصر العربي نقلت الإسلام إلى الصين مبكرا وذابت

في السكان، فإن العناصر المغولية التركية من رُحَّلِ التركستان بشقيها هي نقلة وحملة الإسلام الحقيقيين إلى الصين، وذلك في هجراتهم وغزواتهم المتواترة من قلب الاستبس إلى الصين. وهذا يفسر أن كثيرا من المسلمين في الصين ينتمون إلى نفس الشعوب والقبائل الإسلامية التي رأينا في التركستان كالسالار والخوى واليوجور.. إلخ.

في الهند والباكستان الشرقية

فأما في الهند فقد عد في عام ١٩٥١ نحو ٣٥,٤ مليونا من المسلمين من بين مجموع السكان البالغ يومئذ ٣٥٦ مليونا أي بنسبة العشر تقريبا. واليوم إذ تعد الهند ٥٥٠ مليونا (١٩٧١) فإن حجم الإسلام بها لا يقل عن ٥٥ مليونا وقد يصل إلى ٦٠ مليونا. وهذا يزيد على نصف سكان الباكستان جميعا وعلى ضعف عدد الهندوس في كل الباكستان. ويؤكد أن التقسيم السياسي لم يحل المشكلة الدينية ولا جانس التركيب الديني. ورغم أثر الاستعمار التحديدي والتجميدي على توسع الإسلام في الهند، فهو لا يعدم تحولات هامة حتى الآن، ولو أنها تتم أساسا بين طبقة المنبوذين الذين قد يمكن اعتبارهم الاحتياطي الكامن للإسلام في هند المستقبل.

ومراكز الإسلام في الهند نوعان: الأول مناطق تبدو كالهالات أو أشباه الظلال حول شطري الباكستان اللذين يأخذان دور النواة والركيزة. وهذه المناطق ترسم بالتالي شبه خط يصل بين النواتين بطول نهر الجانج. ويتمثل هذا في كشمير التي يسودها الإسلام وتؤلف في واقع الأمر ورغم الوضع السياسي استمرارا وجزءً من كتلة الإسلام في الباكستان الغربية. كذلك يتمثل حول الباكستان الشرقية حيث نجد نسبا مرتفعة بوضوح في الإسلام، فتصل إلى ٢٢,١ % في أسام، إلى ٢٠% في البنغال الغربية (التي تتبع الهند)، وإلى ١٤,٣% في أوتاربرا ديتس التي تلاصق البنغال الغربية تجاه الغرب.

بعد هذه المناطق جنوبا تنخفض نسبة الإسلام بشدة حتى تعود مرة أخرى فترتفع نوعا في جنوب الهضبة على شكل رقع وجيوب، خاصة في حيدر آباد ومدارس (٩,١%)، مع ميل واضح إلى الازدياد على السواحل وخاصة الغربية. وهذه الجزر الإسلامية في جنوب الدكن هي النوع الثاني من أنماط توزيع الإسلام في الهند. وإليها ينبغي أن نضيف إسلام سيلون حيث جاءها من البحر وحيث يقدر عدد المسلمين، وأغلبهم من التاميل، بنحو المليون أو أكثر من ١١ – ١٢ مليونا أي بنسبة العشر تقريبا. وبالمثل تضيف أرخبيل جزر الملديف المرجانية – ١٠٠ ألف نسمة ويزيد – كلهم يدينون بالإسلام على وجه الإطلاق.

وهنا لابد أن نتساءل لماذا ينشطر مجال الإسلام في الهند إلى دائرتين منفصلتين، واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب، بينهما برزخ لا يلتقيان، فضلا عما يترتب على ذلك من اختلاف في العنصر، هند – أوربيون في الشمال كإخوانهم في العقيدة في الباكستان، دارفيديون في الجنوب. تلك في الحقيقة نتيجة منطقية إذا اعتبرنا الحركة التاريخية والظروف الجغرافية. فنطاق الشمال هو امتداد مباشر لكتلة الإسلام المتصلة في غرب آسيا حتى الباكستان الغربية. فسهم الإسلام هنا أتى من الشمال. أما دائرة الجنوب فقد أتاها الإسلام من الجنوب، من مصدر مختلف هو البحر، على يد التجار العرب وربما الإيرانيين من جنوب شبه الجزيرة العربية والخليج. ومن بوابة ساحل الملبار توغل إلى الداخل حتى وسط الدكن شمالا وحتى سيلون جنوبا. وهذا ما يفسر في نفس الوقت تكاثف الإسلام نسبيا على ذلك الساحل الغربي.

بعد هذه الشظايا المتناثرة نسبيا في الهند نصل إلى أول كتلة كبيرة في هذا القطاع الشرقي من العالم الإسلامي، وذلك في الباكستان الشرقية. فهنا كان ٤٣,٨ أو ٤٤ مليون مسلم من مجموع السكان البالغ زهاء ٥٧ مليونا عام ١٩٦٥ والذي وصل الآن (١٩٧١) إلى ٧٠ مليونا. وهنا يبرز فارق بين شطري

الباكستان. فرغم أن الباكستان الشرقية أكثر سكانا من الغربية، فإنهما أدنى إلى التعادل في قوة عدد المسلمين، وذلك لأن نسبة الإسلام في الشرقية أقل منها في الغربية. فبينما وجدنا ٩٧,١% من كل سكان الباكستان الغربية من المسلمين، تضم الشرقية أقلية هندوكية كبيرة ولا تزيد نسبة الإسلام عن ٧٦%. ولهذا فإذا تعادلت قوة المسلمين العددية المطلقة في الكفتين، فإن الكفة الغربية ترجح بالنسبة. ولعل هذا أن يفسر لماذا كانت الباكستان الغربية هي الإقليم النواة ومركز الثقل السياسي في الدولة الدينية المشطورة.

هذا وقد تعرضت الباكستان الشرقية كالغربية لتبادلات سكانية ضخمة، ولكنه أقل نسبيا، مع الهند بعد التقسيم. ففي عام ١٩٤٨ - ١٩٥٠ قذفت الاضطرابات الدينية بأربعة ملايين لاجئ منها إلى الهند، وتلقت بالمقابل مليون مسلم. ومن المفيد أن نذكر أن مسلمي الباكستان الشرقية ينتمون إثنولوجيا إلى نفس العنصر الذي ينتسب إليه مسلمو الباكتسان الغربية وهو الهندو - أوربيين أو الهندو - آريين.

جنوب شرق آسيا

وإذ نتابع رحلتنا إلى نهاية هلال الإسلام في جنوب شرق آسيا، لابد أن نذكر أولا حقيقة أساسية مفتاحية. فهنا لم يأت الإسلام عن طريق القارة أي من الطريق البري، وإنما بالطريق البحري جاء. أما لماذا انتهى دور الطريق البري عند هذا الحد وأعطى مكانه للطريق البحري، فلعامل جغرافي طبيعي بحت ومقنع بما فيه الكفاية، فإلى الشرق من الباكستان الشرقية حيث "كوع" الهملايا الشهير، تتحول السلسلة الجبلية الألبية إلى محور شمالي - جنوبي وتقوم كحائط شاهق عريض شديد الوعورة كثيف بالغابات. وقد كان هذا هو العامل الأساسي الذي فصل الهند حضاريا وتاريخيا إلى حد كبير عن الهند الصينية ووضع حدا

لانتشار نفوذها الثقافي والسياسي منذ فجر التاريخ، وهو نفسه الذي أوقف تقدم الإسلام فيما بعد في هذا الاتجاه، حتى جاء راكبا البحر من الجنوب. وهذا ما يفسر انقطاع الإسلام وتفتته المتزايد على القارة بعد أن نغادر الباكستان الشرقية، بل يفسر كذلك لماذا استمدت جزيرة جنوب غرب الصين إسلامها من الشمال الغربي وليس من كتلة الباكستان الشرقية رغم قربهما النسبي.

ولمحور الطريق البحري قطبان أساسيان: الجنوب العربي، وخاصة حضرموت، كمركز إرسال، وشبه جزيرة الملايو كمركز استقبال وإشعاع. فالملايو هي بؤرة توزيع ومحطة توصيل الإسلام في كل دائرة الجنوب الشرقي من آسيا. وكما أتى الإسلام إلى الملايو من البحر، فقد تشعع منها وهاجر - والملايون أهل بحر وتجارة - في كل جنوب شرقي القارة بالبحر أساسا. بل إن التركيب الجنسي للمسلمين في أغلب وحدات جنوب شرق آسيا يتحلل في النهاية إلى قاعدة من الأهالي المحليين وخميرة نشطة من الملاويين المهاجرين! والمحصلة النهائية أن الإسلام هنا إسلام سواحل في الدرجة الأولى، والجاليات الإسلامية تقتصر على تجمعات ساحلية، خاصة حول مصبات الأنهار والدالات الرئيسية، وقل أن يتوغل في داخل اليابس.

ولنفصل. جذع الهند الصينية نفسه "انخفاض" إسلامي أو شبه فراغ تقريبا. فليس ثمة في بورما إلا ٤% مسلمين أو نحو المليون إلى المليون ونصف المليون تقريبا. ومثل هذا العدد أو أقل - ٧٠٠ ألف إلى مليون - نلقاها في تايلاند. غير أننا إذا قلنا الإسلام في تايلاند فقد قلنا في أقصى جنوبها المتطرف، أو القطاع الشمالي الدقيق من شبه جزيرة الملايو وليس جذع تايلاند نفسها. فالحقيقة أن إسلام تايلاند يمتاز بالتركيز العنيف شبه المطلق في هذا القطاع، وهو بهذا ليس إلا امتدادا عبر الحدود السياسية المصطنعة لكتلة الإسلام في

الملايو. وبالفعل فقد كانت تلك المنطقة أصلا من ولايات الملايو. كما تخضع اليوم لنفوذها وإشعاعها الديني خاصة من ولاية كيلانتن الملاصقة.

ولكن قبل أن نعبر إلى الملايو، هناك كمبوديا وفيتنام. فعلى الجانب الآخر من خليج سيام، الذي يمكن عبوره بالشراع في ساعات، يمتد نفوذ إسلام الملايو على الحافة الجنوبية للهند الصينية ففي كمبوديا أكثر من ١٠٠ ألف مسلم يستقرون عموما على الساحل وشواطئ الأنهار، زراعا وسكان مدن، حول نهر الميكونج وبحيرة تونلي ساب. ويتألف هؤلاء المسلمون من العنصر الملاوي المهاجر الذي أدخل الدين هنا. ومن عناصر التيام Cham المحلي (وهكذا ينطق ولكن هكذا تقليديا يكتب) الذي تحول على أيديهم في تاريخ حديث جدا. ومن هؤلاء التيام المسلمين شريحة قزمية تقع عبر الحدود في فيتنام الجنوبية على الساحل جنوب نها ترانج Nha Trang ولا تزيد عن الخمسة آلاف وتعرف بالتيام باني Cham Bani (هل تعني بني الإسلام؟ - هكذا يتساءل بيير روندو). كذا تعود الملاوية بجزيرة إسلامية صغيرة أخرى في منطقة Chauduc إلى الجنوب الغربي من سايجون.

من هذا الإسلام الفسيفسائي نعود إلى الملايو، الكتلة - الأم هنا، لنجد نحوا من ٥,٥ ملايين من المسلمين يؤلفون حوالي ٥٥% من سكان الملايو البالغين نحو ١٠ ملايين في عام ١٩٧١. أغلبية، ولكنها ضئيلة بوضوح، ولا تتناسب كما يلوح مع الدور التاريخي الريادي للملايو في بث الإسلام "وضخه" هنا. غير أن الهجرة الحديثة هي السبب؛ فقد أغرق طوفان الهجرة الهندية، ولكن الصينية بالدرجة الأولى، أغرق العنصر الملاوي المسلم في القرن الأخير. ورغم أن الهجرة الهندية أضافت إلى قوة الإسلام بعض الأعداد، فقد كان الحساب الختامي خاسرا بسبب الهجرة الصينية السائدة. وحيث تتبلور هذه الهجرة إلى الذروة في

سنغافورة، ينخفض الإسلام إلى أدناه، فلا يزيد عن ١٢% من المليونين ونيف التي تؤلف سكان الجزيرة. ويتركز الإسلام في الملايو، مع كثافة السكان العامة، على الساحل الغربي بصفة خاصة.

إندونيسيا هي ثاني أكبر دولة إسلامية في العالم، وقد سجلت في عام ١٩٦٥ من السكان ١٠٥ مليون نسمة، لا شك تعدت العشرين بعد المائة مليون الآن، الأغلبية الساحقة منها – ٨٠% – من المسلمين. أي أن إندونيسيا تضم سواء من السكان أو من المسلمين مثلما يضم العالم العربي بالتقريب. وتكاد جزيرة جاوة وحدها بتعدادها البالغ نحو ٦٥ – ٧٠ مليونا تكاد أن تضم من المسلمين على رقعتها التي لا تزيد عن ٥١ ألف ميل[٢] مثلما تضم إفريقيا العربية البالغة ٣,١ مليون ميل مربع مساحة! هذا وفي المستعمرات البريطانية السابقة في بورنيو – صباح وسرواك وبروني من اتحاد ماليزيا حاليا – نحوا من ٩٠٠ ألف مسلم، قل مليونا. وتحمل حركة التهجير المخططة التي تتبعها إندونيسيا إلى "الجزر الخارجية" المخلخلة السكان، تحمل معها انتشارا جغرافيا محققا للإسلام في الأرخبيل المترامي.

لا يبقى الآن في جولتنا إلا الفلبين – أرض الشمس المشرقة في العالم الإسلامي! – حيث مسلمو المورو Moros، كما سماهم المستعمرون الإسبان على نحو ما عرفوا المسلمين في إسبانيا والمغرب، والذين حاربوهم بعنف وقاوموهم كما فعلوا هناك أيضا. ويتراوح تقديرهم بشدة بين المليون (٩٠٠ ألف) وبين الأربعة ملايين! فهم إما جزء من عشرين من سكان الفلبين وإما خمسهم – بحسب المراجع.. وهم بعد هذا يتركزون أكثر ما يتركزون في جزيرتي مندناو وسولو، أي في الجنوب مما يشير إلى أن الإسلام هنا امتداد

لكتلته الأساسية في الأرخبيل الإندونيسي مثلما يشير إلى أن مصدره إنما هو عن طريق الجسر الجزري وليس من القارة مباشرة. وبالفعل فإن مسلمي الفلبين يتألفون جنسيا من عنصرين: الملايو المهاجرين الذين جلبوا الإسلام بعد القرن الحادي عشر، وقبائل التاجال الوطنية التي أسلمت على أيديهم في القرن الرابع عشر.

***